الباب الثانى

ديكنز فى صباه

عائلته ـ ميلاده ـ صباه

ولد الكاتب الانجليزى الأشهر تشارلس ديكنز ، أكبر كتاب الرواية فى القرن التاسع عشر وأخصبهم خيالا ، وأقدرهم على الفكاهة من غيره من فطاحل من أنجبتهم انجلترا من عباقرة وكتاب وروائيين ، فى لاندبورت من أعمال بورتسى بانجلترا ، يوم الجمعة السابع من شهر فبراير عام ١٨١٢

وكان أبوه جون ديكنز كاتباً بسيطاً فى أحد مكاتب حسابات البحرية وقد قاده حسن حظه على التعارف بالسيدة « اليزابيث بارو » التي تزوج منها فيما بعد . وقد أنجبت منه ثمانية أولاد مات اثنان منهم فى أيام الطفولة . وكان ترتيب صاحبنا الثانى من المواليد ، وقيد اسمه المسيحى هكذا تشارلس جون هوفام » وكثيراً ما كان يستعمل اسم هوفام فى كتاباته ورسائله . .

ولا تزال البيئة تلعب أكبر دور فى تاريخ الكتاب والأدباء . فأين ذلك الكاتب أو ذلك الأديب الذى لم يتأثر باقليمه الذى ولد فيه ونشأ فى ربوعه ، ونهل منه أكبر قسط فى صباه ؟

ما من شك فى أن اقليم بورتسموث النضر الجميل كان قد طبع أديبنا الكبير بطابع حب الجمال وتعشقه . وما من شك أيضا فى أن ذاكرة ديكنز كانت من القوة بمكان أنه كان يتذكر فى وضوح وجلاء ذلك اليوم الذى خرج فيه ، وهو فى الثانية من عمره ، إلى أروقة الحديقة وعماشيها المرصوفة

بالأحجار فى أشكال هندسية بديعة تتبعه مرضته الخاصة ، و بيده رغيف عيش أو قطعة من فطير . بل ويذكر بالذات يوم أن خرج إلى الحديقة ليشاهد الجنود وهم يتدربون . ويقول فورستر « لقد أعجبت بديكنز وبقوة ذاكرته يوم عدنا إلى بورتسموث ، وذكرنى بمناظر الجنود وأرديتهم وشدة اعجابه بهم وكم دهشت كثيرا عندما تبين لى أن هذا الزى الذى حدثنى عنه قد انقرض واندثر . فقد كان زى الجنود منذ خمسة وعشرين عاما ... »

امضى ديكنز شطراً كبيرا من طفولته فى إقليمه الجميل . ثم نقل أباه إلى لندن بحكم وظيفته ، فاستقر المقام بالعائلة فى مسكن بشارع نور فلك . وقد عاشت فى ذاكرته ذكرى يوم رحيله من موطنه الأصلى فقد سافر إلى لندن والجليد يتساقط عليه ويكاد يغمره ...

ثم نزح إلى شاسام فيما بعد ، وقطنت العائلة منزلا بحديقة يواجه كنيسة البلدة . وكان ديكنز وقتها قد بلغ الرابعة من عمره ، وقد مكث فى مقر أبيه الجديد حتى بلغ التاسعة . وهو لا يفتأ ينظر باعجاب إلى قصر جادهل البديع وقد تربع على قمة الجبل فى الطريق الممتد بين روشستر وجريفن ...

وقد كان ديكنز الطفل بالرغم من نحول عوده ، واصفرار وجهه ، مستقلا عن زملائه . وكم كان يلذ له أن يشاهد الصبية وهم يلعبون ويجلس هو يقرأ .. وكان يعتقد اعتقاداً جازما بأن ضعف صحته قد أفاده كثيرا إذ مكنه من مداومة القراءة والاطلاع الكثير .. ولم يكن لوالديه فضل كبير فى تأهيله . وها نحن أولاء نعيد ما كتبه ديكنز لواشنطن أرفنج فى صدد تربيته « قليلة جدا كانت تلك العناية من جانب والدى فى تربيتى ... »

ويقول ديكنز فى مكان آخر أن رغبته الملحة فى انتهال بحور المعرفة ورغبته الدائمة فى القراءة لقيا تشجيعاً كافيا من أمه التى تعلم منها الأوليات مبادىء اللغة الانجليزية واللاتينية . فقد كانت تعلمه كل يوم إلى وقت طويل

ثم دخل مدرسة اولية مع اخته « فانى » فى مكان اسمه « روم لين » ولمدرسته الاولى ذكريات طريفة ـ فقد حدث انه فى صباه سافر الى شاسام وكم كان غريباً عليه ان لا يجد مدرسته. فقد انتزعت من مكانها لبناء طريق عام . فوقف ديكنز طويلا . وكأنه ليستعيد ذكريات ايامه الاولى أو لعله كان ينعى ذكرى ايامه الغابرات ، كما وقف امرىء القيس يبكى خليلته بدموع غزار . . .

ولعل اروع ما قاله ديكنز يوم أن وقف يناجى مدرسته قوله : من أكون انا ذلك الذى يحاول أن يصارع المدينة ويلومها لانها تغيرت فى حين اننى نفسى قد اتيت اليها متغيرا ايضاً الى حد بعيد . حقا لقد كانت قراآتى الاولى فى ذلك المكان العزيز . وتركته ومعه قراآتى وآرائى فى صولتها وقوتها وعدت اليه وقد مزقت تلك القراآت وماتت تلك الآراء . . هكذا الايام . . فوات وفوات . . . . »

تأثر ديكنز فى صباه بقراآت كثيرة . فقد قرأ كل رواية قديمة وحديثة فى عصره . وانكب على قراءة « الليالى العربية » و « الف ليلة وليلة » و « قصص الجان » بنوع خاص .

ويقول فى حديث له عن قراآته الاولى « انه غريب على الآن ، كيف وجدت الوقت فى أيام صباى لقراءة كتب الرواية الكثيرة غربية أو شرقية . فقد كنت توم جونس لأسبوع كامل . وروود ويك لشهر كامل . لقد كان غريباً ، وغريباً جداً أن أذكر بوضوح تلك الاوقات التى كنت أمضيها وأنا ملقى على فراش فى الحديقة ، أقرأ وألتهم الرواية تلو الرواية بينما كان زملائى واخوان صباى يلهون ويلعبون فى الخارج ، كنت انبطح على ظهرى أقرأ أسفار الرواية فى كل صقع من أصقاع العالم سواء فى الشرق أو فى الغرب فقد كانت لذة لا تماثلها لذة . . »

وصقلته القراءة المبكرة ، فبدأ ديكنز يكتب ويجرب نفسه فكتب

التراجيدا « مسنار ـ سلطان الهند ـ » مقتبساً فكرتها من « قصص الجان » ولم تكن هذه أولى انتاجه . فقد كان يجيد الغناء والنكته . وكثيرا ما كان يثير فيمن حوله آيات الاعجاب به وهو يحدثهم ، أو يقص عليهم قصة طويلة من قراآته أو من نسيج خياله ...

وفى السنتين الاخيرتين من سكنه فى « شاسام » التحق ديكنز بمدرسة فى كلوفرين كان يديرها قسيس اسمه « وليامز جيلز » وكان الطالب ديكنز مثالا طيباً للنجابة والذكاء ، الشيء الذى أدهش مدرسيه فاخذوا يعملون لذكائه كل حساب ، وينمون فيه مواهب العبقرية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . وكان إعجاب جيلز به كبيرا لدرجة أنه أهداه هدية فاخرة لتفوقه ونبوغه ...

وفى نهاية عامه التاسع ترك شاسام إلى سومرست هاوس بلندن. وهناك تدرجت قراآته من روايات الف ليلة ، وقصص الجان، ودون كويزوت، وتوم جونز، وجل بلاز، وروبنسن كروزو وإلى مطالعة الجرائد «تاتلر» و «سبكتاتور» وكانت تلك الكتب والجرائد خير صديق له فى عزلته وبعده عن الصبية ونفوره منهم . ولكن مغادرته لمسقط رأسه حزت فى نفسه، فكم كان أسفه كبيرا يوم أن رحل منه إلى لندن فى عربة مقفلة تاركا وراءه مناظر الطبيعة البهيجة الخلابة التى اثرت فى خياله وأوسعت من أفقه ...

وتعيد لندن إلى ذاكرته أيام الشدة التى كان يعانيها ابوه وقد تكدست الديون عليه. فاضطر أن ينزل إلى افقر حى فى المدينة ليسكن فيه . وفى ذلك المكان الحقير الذى اضطرت العائلة إلى سكناه لم يجد ديكنز فيمن حوله صبياً مثله يرتاح اليه ، ويتخذه صديقا له فآوى إلى عزلته يدرس ويقرأ ففيهما عزاؤه وسلواه .

ولكن البيئة الجديدة بفقرها المدقع ، وخشونة المعيشة وظلمها فيها خلقت من أديبنا الكبير رجلا خبيرا فاحصا دقيقاً ، يبحث فى علة الفقر

والجوع ، ويحاول أن يجد لها العلاج الناجع على صفحات ما قدمه من كتب قيمة وما اثاره من موضوعات خطيرة لاتزال من بنات ايامنا . .

وليس هذا معناه أنه كان بمنجاة من الفقر ذاته . فقد لاقى الامرين على يديه بل ووقف الفقر حاجزاً ضد تعليمه . وإضطره ايضا أن ينظف حذاءه وحذاء ابيه كل يوم وأن يقوم بخدمة المنزل وقضاء حاجاته . وأن يعيش عيشة تقشف وزهد أو عيشة بساطة وفقر . وكانت صحته مع ذلك معتلة على الدوام وهو لم يعد بعد العاشرة من عمره . .

وبدأ الصغير تدريجيا يخرج من وكرة القذر ويجوب طرقات لندن ، وهو دهش فاغر فمه لعظمة مايراه من مبان عالية تحكى عظمة القرون التى عاصرتها وصمدت لها ، ويعود فى آخر المطاف الى حجرته الداكنة المظلمة ورأسه الصغير محشو بالآف الافكار عما رأى وشاهد من آثار خالدة .

برع الصبي فى وصف ماحوله من مشاهدات بإسلوب دقيق فيه روعة وفيه سهولة ممتنعة . فكان موضع إعجاب وتقديراً قربائه ومعارفه بل نكاد نقول كان موضع شفقتهم لاعتلال صحته من ناحية . وقوة ذاكرته وحدة ذكائه من ناحية اخرى . .

تدهورت حال الاسرة فدخل الأب قليل جدا . وعلى الأم أن تواجه المشكلة وتجد حلا مناسباً لتحافظ على كيان العائلة . وافرادها الثمانية فخطر لها خاطر جهنمى . . لم لاتفتح مدرسة تعلم فيها أبناء الضاحية . وقد لاقت الفكرة تحبيذا ورواجا لاسيما عند الصغير ديكنز الذى طار لبه فرحا للفكرة . فهاهى الفرصة قد واتته ليدخل مدرسة يتعلم فيها من جديد . وسرعان ما عثرت الزوجة على منزل فى شارع « جاورث » وسرعان ما دقت لوحة نحاسية كبيرة كتبت عليها « مدرسة مسز ديكنز » ولم تلق المدرسة نجاحا يذكر ولم يتأثر دخل العائلة بشىء مطلقا . فزادت ديون الوالد وضايقه الدائنون

واخيرا أودع الأب السجن لقصر يده ، وعدم إمكانه سداد ما عليه من ديون .

وكانت مهمة ديكنز الجديدة مداومة الاتصال بأبيه في السجن . يذهب اليه من وقت لآخر يزوره في معتقله ، ويرجع من هناك ودموع الأسى والحزن تنهمر على محياه فتزيد من شحوبه واعتلاله . . .

تنقل تشارلس ديكنز في بيئات كثيرة ، وتنفس هواء اجواء مختلفة . ولم يكن أشق عليه في استنشاق هواء الضاحية الفاسد ، وتقلبه في احضان الفقر ، والجوع والحرمان سنوات طويلة . ولكن شخصيته القوية الفذة ، ومقدرته وشجاعته على مغالبة الزمن أو مغالبة الفقر والجوع مكنته من أن يشق لنفسه طريقا قويما رغم ما اعترضه من مشاكل ، ورغم ما غرس امامه من اشواك ! فاخذ يساير الزمن في صبر وجلد شديدين لا يتطرق الشك أو اليأس الى نفسه ، بل يتخذ من فقره قوة تؤهله على الكفاح في سبيل مبدأه أو في سبيل اهدافه التي يعمل لها ، ويقرأ كل كتاب يقع في طريقه في سبيل تقويم نفسه والبلوغ بها إلى ما يطمح فيه فتى صغير يخالف إخوانه كل المخالفة من ناحية الاستعداد والطباع ، إلى معارج الكمال والمعرفه . . .

لا تكاد تقرأ رواية لتشارلس ديكنز حتى تطالعك سطورها بوصف شامل لتلك البيئات التي نزل اليها وتأثر بها . وهاهي رواية «دافيد كوبرفيلد» تكاد تكون صورة طبق الأصل لبيئة في بيئات لندن الفقيرة التي لاقى فيها من انواع الفقر ، وقصر اليد الشيء الكثير .

وها نحن نراه يثير فينا الضحك طويلا إذا تناول شخصية من شخصيات رواياته بالنقد والصقل والتهذيب . ورواياته الأخرى « بيكوك : برز » لاتخلو من وصف شامل لبعض الأمكنة التي ارتادها ، وكانت له فيها ذكريات لاينساها لانها طبعت في ذاكرته رغما عنه . . فهي لن تفلت من يده أو من قلمه اذا ماحان وقت تسجيلها على صفحات رواياته الخالدة ، الذكرى والتاريخ .

لم يكن هناك بد من خروج ديكنز إلى ميدان الحياة يكافح فى سبيل بقاء عائلته المنكودة . ولا يسعنا الا أن نذكر بالذات كلمات الكاتب الكبير عن أسباب خروجه إلى العمل وهو فى سن مبكرة جدا قد لا يصدقها انسان ..

يقول ديكنز « فى ساعة نحس لاتزال ذكراها تهز من أعصابى اقترح احد أقربائى وكان يدعى « جيمس لامرت » وكان يقطن معنا فى شارع « بايهام » أن أعمل بأحد مصانع الورنيش الذى كان يديره . وإذ كان على علم تام بحالتنا العائلية اقترح أن أعمل بالمصنع بمرتب قدره ستة شلنات فى الأسبوع . ولست أدرى أو اتذكر جيدا أكان الرقم ستة أو سبعة شلنات . وكل ما اتذكره أنه كان ستة شلنات أولا على أن يزداد إلى سبعة فيما بعد . وعلى كل فسرعان ماقبل العرض ولقى ترحيباً كبيرا من أبوى . وفى صباح يوم الاثنين ذهبت إلى مقر العمل الجديد لابدأ فى إعداد الأوعية الكبيرة لصنع الورنيش .

« ولا زلت فى عجب من أمرى كيف قدر لى أن اخرج وأعمل وانا فى ذلك السن الصغير . بل والعجيب أيضا انه من وقت ما وطئت قدماى لندن لم يشفق أحد على ! أو لم يشفق أحد على مواهبى ، ولم يفكر إنسان فى الحاقى بمدرسة انمى فيها تلك المواهب الضائعة . وحتى معارفنا الذين كانوا يعرفون عنى مواهب الذكاء والعبقرية لم يتقدم منهم انسان ، ولم يشر منهم أحد بشئ ما ... أما والدى فكانا مقتنعين إلى حد كبير ... »

« وكان مصنع الورنيش يحتل مكانا لا بأس به على قارعة الطريق . وكانت الجرذان لاتخلو منه ، وكان رديئا جداً وقذراً . مهلهلا تنفذ منه روائحه الكريهة إلى صدرى فتزيد من تدهور صحتى . كل هذا لأجل ستة شلنات فى الأسبوع ... »

« وكانت مهمتى تغطية علب الورنيش باوراق زئبق . ثم الصق على الغطاء ورقة خاصة بنوع الورنيش ولونه والمصنع الذى صنع فيه . وكان هناك أيضا ثلاثة أطفال يؤدون نفس المهمة . وجاءنى فى الأسبوع التالى

واحد منهم يعلمنى كيف أعقد رباط العلبة وكان اسمه «بوب فين» وقد وافق على استخدام اسمه فى روايتى « اوليفر توست » فيما بعد . . »

« وكان على أن اندمج فى أوساط فقيرة متواضعة ، واضطرنى عملى الجديد أن أتعرف على « بوب فين » الذى كان يعيش مع اخيه السقاء ، ومع « بل جرين » الذى كان يفخر بأن أباه سائق نظيف ! . . »

« وكان يحز فى نفسى كثيرا ذكرى ذلك الوسط الذى اندمجت فيه اذا ماقارنته بالوسط الأول الذى نشأت فيه . بل ولا تزال ذكرى أيام الشدة والبؤس تساورنى ولا تكاد تفارقنى . حتى بعد ماوصلت اليه من عز ومركز أدبى وجاه . وكثيراً ماانسى فى أحلامى أن لى زوجة عزيزة وأبناء . وحتى وانا فى رجولتى وقوتى الآن لا انسى تلك الفترة القاسية . والتجربة العنيفة التى مرت بى أو مررت أنا بها أيام صباى . . »

« كانت المسافة بين المدرسة ومنزلنا المتواضع الحقير طويلة تحتاج إلى سير متواصل كل صباح . وكان على أن احضر بعض الطعام معى من منزلى قبل الذهاب أو اشترى مايسد رمقى ، اذا ماحان موعد الغذاء . وقد كانت الأكلة لاتكلفنى اكثر من خمسة بنسات . بنس للرغيف وأربعة لقطعة لحم احصل عليها من أقذر محلات الغذاء فى البلدة . واتذكر جيدا يوم أن لففت رغيفا فى قطعة ورق وحملته تحت إبطى وسرت به إلى المدرسة حتى إذا ما دقت ساعة الغذاء هرعت لتوى إلى مطعم شعبي ممتاز فى « درورى لين » وفى عظمة وكبرياء طلبت طبق لحم . وكم صعق يومها الخادم لما رآنى اخرج من الورقة رغيفى المحبوب والتهم مافى الطبق التهاما . الشيء الذى دعاه إلى مناداة خادم آخر لمشاهدتى وانا فى منظرى هذا الفريد . وقد اعطيته نصف بنس . وكم كنت أود فى قرارة نفسى أن يرفض أخذه ، ولكن الخبيث التى به فى جيب سترته بالرغم مما حدث . . . »

كانت ليلة السبت من كل أسبوع هى الليلة المحببة إلى نفس الصغير . فقد

كان يعود إلى منزله منتفخ الأوداج . مرفوع الرأس . مادامت الستة الشلنات في جيبه تستوقفه من وقت لآخر أمام فيترينات المحال العامة ينظر اليها في كبرياء وعظمة . أليس لديه المال الآن ؟ انها لاشك ستة شلنات ! قدر لابأس به مع فقير مثله . وكان مزاجه غريباً حقاً . فقد كان مولعا بشراء « الذرة المشوى » يعود به كل سبت إلى منزله ويتسلى بأكله أثناء قراءته أو كتابته ... أو يشترى أحدى المجلات الرخيصه « بورت فوليو » ويعود بها ايضا إلى منزله في عظمة المنتصر الواثق من نفسه ...

ودعنا نعود ثانياً إلى كلمات ديكنز عن هذه الايام التي لم تبرحه قط بل شغلته ذكراها إلى وقت طويل عندما تقدمت به الأيام وتحسنت به الأحوال . ولكنه لم يكن من السهولة بمكان أن ينساها أو يتناساها فكتب فيها الشيء الكثير « تدهورت بنا الحال وأفلست المدرسة ، وعادت أمي إلى سجن المرشالسيه لتعيش هناك . وأعيد مفتاح المنزل إلى صاحبه الذى طار فرحاً للحصول عليه . أما أنا فقد تركت إلى إمرأه عجوز من معارف عائلتنا لأعيش معها في حجرة متواضعة في مدينة « كامون » . وكان لهذه المرأة العجوز أخ وأخت صغيرين ترعاهما ، وكنا ننام ثلاثتنا في حجرة واحدة وكان « فطورى » لا يتكلف أكثر من بنس للرغيف و بنس آخر لكوب ابن أعتدت أن أجهزهما كل صباح ، كما احتفظت برغيف آخر وربع رطل جبن للطوارىء على رف خاص في دولاب مشترك . وكنت أقضى طوال يومى في المصنع وأعود منه في المساء ، لأجهز عشائى من التموين الاحتياطى أما تكاليف سكناى فقد كان يدفعها أبى باستمرار . ولا أتذكر إنى دفعت ايجاراً مرة . ولم يكن يساعدنى أحد طوال الأسبوع إذا اتسخت ملابسى أو احتاجت إلى ترقيع » وأعتدت أن أعرج كل يوم أحد ومعى أختى « فانى » إلى السجن لزيارة الأهل والأصحاب . .

« وكثيراً ما كانت تغريني الفطائر الدسمة ، وهى في أوانيها اللامعة في

واجبات خال الحاوى ، فأجد نفسى التهم بعضها التهاما . حتى إذا ما انتهت آخر الأمر اجد أن نقودى قد ذهبت ثمنا للأكلة الدسمة ، التى أتيت عليها من غير حساب .

« وقد أمكث يوما بأكمله لا أجد فيه ما يسد رمق اللهم إلا إذا عرجت على أحد محال الفطائر الرخيصة أحصل على واحدة منها بنصف بنس أو بنس واحد إذا كانت دسمة بعض الشيء . وإذا توفر لدى المال، هرعت إلى أقرب محل ، فى فسحة الشاى ، لأتناول قدحا من القهوة وقطعة من العيش والزبد . أما إذا لم يتوفر لدى المال فكثيرا ما كنت أذهب إلى الأسواق أشترى بعض الأناناس .

« إننى لا ابالغ فى سرد حوادث حياتى ، والصعوبات التى أعترضت طريقى ، وأعرف جيداً أنه إن أعطانى انسان وقتها شلنا فأنى اضيعه على أكلة أو شرب قدح من الشاى . وأعرف جيداً أننى عملت من الصباح إلى المساء مع رجال وشبان . وكم حاولت وأنا صغير أن ادخر بعض المال بلف بعض البنسات فى خرقة ، وإخفائها فى صندوق . وكم من مرة كنت أخرج إلى شوارع المدينة . وامعائى تكاد تتقطع إرباً من شدة الجوع ...

« ولقد حافظت طوال مدة خدمتى فى المصنع على أن يكون خلقى كريما ، فاحتفظ لنفسى بمكان لائق بين زمـــلائى بالرغم من اختلاف اخلاقهم وخشونتهم . وكانوا يطلقون على اسم « الجنتلمان الصغير » . .

واستطاع ديكنز فيما بعد أن يستقل بحجرة خاصة . قال عنها انها كانت جنته المفقودة . فقد شعر بالحرية وتنفس فيها بارتياح . وقد وجد فى صاحب الدار الجديده جنتلمانا طيب القلب ، عطوفا عليه كما لمس هذا الشعور الكريم أيضا من زوج صاحب الدار وابنه . . .

وحدث فيما بعد أن تشاجر أب ديكنز مع مدير المصنع الذى يعمل فيه

ابنه وقد أدت هذه المشاجرة إلى انتقام صاحب المصنع بطرد ديكنز منه. وكم بكى الصغير وتأسف من قرارة نفسه لهذا الطرد المفاجىء، غير المبرر أو المرتكز على أسباب قوية. ويقول ديكنز فى هذا الصدد «وتدخلت أمى فى الأمر ورجتنى أن أعود إلى المصنع بعدأن توسطت لدى فريها، ولكن أبى أصر على الحاق بمدرسة أستفيد منها..

«ومن هذه الساعة إلى وقت كتابة هذه السطور، لم يسبق أن ذكرت حادثا واحدا من سلسلة تلك الحوادث التى مرت بى منذ أيام طفولتى، ولم انطق بكلمه واحدة منها لصديق أو قريب. لقد أحتفظت بها لنفسى ...»

«ومن هذه الساعة إلى وقت كتابة هذه الذكريات ظل أبى وامى لا يتكلمان عن هذه الأيام أو يذكرانها بسوء أو بخير. ولم اسمع منهما كلمة واحدة عنها ...»

«ولم احاول مرة أن أزور تلك الأماكن التى لاقيت فيها أنواع البؤس والشقاء.. بل كنت اتفاداها على الدوام. تلك الاماكن التى احتقرتنى، وسخرت منى، وعرفتنى من انا فى وقت ما!!

هكذا كان يقضى ديكنز فترة صباه فى ناحية بعيدة منحطة.. وهكذا كان يلاقى ذلك العبقرى الموهوب كل عذاب وشقاء فى بدء حياته. وهو ذلك الضعيف المعتل الصحة... ولكنها العبقرية أو قل هى الشخصية القوية الفذة غالبت الشقاء، وصارعت الفقر لتخلد نفسها على صفحات التاريخ، ضاربة آيات من البطولة وأمثلة من الاحتمال والصبر فى سبيل الصراع من اجل المبدأ والعقيدة التى تدين بهما وتعمل جاهدة على رفع شأنهما، والعلو بهما إلى أرقى معارج الكمال ...